تقدير موقف – أحداث رمضان

تسعى هذه الورقة الى استشراف السناريوهات المتوقعة جراء الأحداث المستمرة منذ بداية رمضان في محيط وداخل المسجد الأقصى

تقديم

منذ نشوءها سعت الحركة الصهيونية الى لتثبيت روايتها التاريخية والدينية المزعومة حول فلسطين، وتثبيتها كحقيقة وأساس في سياساتها وادعاءاتها في الأحقية بأرض فلسطين، وقد شكلت السيطرة على الأماكن المقدسة أحد أهم أركان هذه السياسة، وقد دفعت جهات عديدة داخل الكيان وفي مقدمتها الأحزاب والحركات الدينية اليمينية المتطرفة، الى الدفع قدماً بضرورة السيطرة على الأماكن المقدسة وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك واعتباره مقام مكان الهيكل المزعوم.

خلفية تاريخية

بعد احتلال شرقي القدس عام 1967 أغلقت قوات الاحتلال المسجد الأقصى بوجه اليهود لفترة محددة، ولم تشجعهم على الدخول اليه إلا كسياح، لكنها استطاعت أن تنتزع حائط البراق من المسلمين، وتخصيصه لليهود دون غيرهم لممارسة شعائرهم فيه. وقد بقي صوت الفتاوى الدينية اليهودية القائلة بحرمة دخول المسجد الأقصى من قبل اليهود هو الأعلى، لكن شيئاً ما تغير مع مرور السنوات، فقد بدأ الأمر بالتحول الى زيادة في اقتحام الأقصى على يد الصهاينة بعد اتفاقيات السلام مع الأردن والسلطة الفلسطينية، ومع ازدياد قوة التيار الديني الوطني الصهيوني في دولة الكيان، والذي ظل يرفض الإقرار بصحة الفتاوى الحريدية المانعة لدخول الأقصى، بل إن حاخامات هذا التيار أصدرت العديد من الفتاوى التي تشجع اليهود على اقتحام الأقصى وممارسة الشعائر الدينية فيه.

وقد وجد هذا التيار المتطرف آذانا صاغية له جيدا في المؤسسة الحاكمة في الكيان، خاصة في العقدين الأخيرين، كما أنه تلقى كل الدعم من جهات أخرى عديدة من خارج الكيان، أبرزها التيارات المسيحية الانجيلية البروتستانتية في الولايات المتحدة، والتي تسعى منذ زمن الى تعزيز محاولات السيطرة على المسجد، أو على الأقل الوصول مرحليا الى تقسيمه مكانيا وزمانيا، حيث زادت هذه المساعي والجهود في السنوات الأخيرة بصورة واضحة مع إحكام اليمين المتطرف قبضته على مؤسسات الدولة في الكيان، ومع وصول ترامب الى رئاسة الولايات المتحدة ومنحه تفويض للصهاينة بالحق في القدس.

ومنذ العام 1996 شهد المسجد القصى ومحيطة العديد من المواجهات على خلفية السياسات الصهيونية الاستفزازية تجاهه، والتي أوقعت الاف الشهداء الفلسطينيين كان أبرزها هبة النفق عام 1996 التي استمرت قرابة أسبوع، وقدم فيها الشعب الفلسطيني أكثر من مئة شهيد، وانتفاضة الاقصى التي جاءت على إثر اقتحام شارون للمسجد والتي استمرت لسنوات مع عديد الاف من الشهداء والجرحى والمعتقلين، ثم هبة القدس عام 2015، وما عرف بهبة البوابات عام 2017 والتي أجبرت الاحتلال على التراجع عن مخططه، ربما الأخطر في السنوات الاخيرة، تلا ذلك معركة سيف القدس عام 2021 التي ميزها انضمام جبهة غزة هذه المرة والتي لقنت الاحتلال ضربات موجعة، وأخيرا ولا يبدو اخرآ، الأحداث الدائرة الان في شهر رمضان المبارك \2022، ولاشك أن المتابع لهذه الأحداث سيدرك أن هذا التصدي البطولي من الفلسطينيين العزل للاحتلال وسياساته أسهمت فعلا في الدفاع عن الاقصى وأدت الى افشال الكثير من مخططاطه الاستعمارية.

الأسباب والدوافع

اضافة الى الدوافع الدينية والايدولوجية التي تقف وراء سياسات الكيان في المسجد الأقصى، هناك دوافع سياسية وأخرى روائية سردية لدى الاحتلال يسعى لتثبيتها في المكان، "فاسرائيل" تسعى الى تغيير الواقع للوصول الى بناء الهيكل المزعوم الذي يمثل قمة انتصار الرواية والسردية الصهيونية للمكان خاصة وفلسطين بشكل عام، الى جانب ذلك تجد "اسرائيل" في الظروف الحالية فرصة تاريخية لتحقيق التقدم والانجاز في أهدافها، فهي باتت ترى التراجع الواضح من قبل العرب في الاهتمام في القضية الفلسطينية، بل إن جزء ليس بالهين من هؤلاء قام بتطبيع العلاقات معها دون أي اشتراطات فيما يتعلق بالاقصى او القدس، كما أنها تجد دعما دوليا لها تقريبا في كل ما تفعله وخاصة الادارات الامريكية، الى جانب وجود عالم واقليم شهد تغيرات كبيرة وأصبح منشغلا أكثر بمشاكله وقضاياه الاقليمية والداخلية.

كل ذلك دفع "اسرائيل" الى اعتبار أن مكانتها وقوتها ودورها في المنطقة والعالم، وحجم ما تمتلكه من علاقات وامكانات يؤهلها الى تحقيق انجازات على الارض أكثر بكثير مما هو قائم، معتقدة أن الفلسطينيين أضعف من السابق ولن يكون بمقدورهم لوحدهم لجم سياساتها.

السيناريوهات المحتملة

أولاً: استمرار الوضع القائم

تسعى"اسرائيل" الى التقدم في خطواتها عاما بعد عام ضمن استراتجية مدروسة تهدف الى تحقيق غايتهم في المدى القريب، وهي تطبيق التقسيم الزماني والمكاني للمسجد، على أن لا يقود ذلك الى انفجار الأوضاع تماماً، فهي تكتفي في كل عام بالتقدم خطوة واحدة الى الأمام وتجتهد في تثبيتها واقعاً معاشاً يعتاده الناس، وفي سبيل ذلك تتحمل بعض الصدامات والموجهات التي تبقى في حدود السيطرة، إضافة الى ذلك تقوم "اسرائيل " خلال تلك الجولات بجس نبض الفلسطينيين ومدى تقبلهم للتغيير الحاصل، وهو الأمر الذي ينفذه الاحتلال في كل جولة من جولات المواجهة، دون أن ينتبه لذلك الناس، وهذا بالفعل ما حصل في هذه الجولة من المواجهة وفي الغالب سينتهي التوتر الحاصل هذه المرة دون صدام شامل لكن مع فشل الاحتلال في التقدم شيئاً عما كان عليه الوضع قبل رمضان وهذا يعود بالأساس لصمود المقدسيين ومن ساندهم من كافة أنحاء فلسطين المحتلة وهو السيناريو الراجح عندنا حاليا.

ثانياً: انفجار الاوضاع

قد تتدحرج الأمور وتخرج عن مسارها الذي تسعى "اسرائيل" أن تبقيها فيه وذلك بقيام أحد المتطرفين الصهاينة بارتكاب حماقة ما تؤدي الى تفجر الاوضاع وذهابها الى مرحلة المواجهة الشاملة التي تضم كل الساحات الفلسطينية بما في ذلك جبهة غزة، أو قيام الاحتلال برد غير معتاد على مساندة غزة للمرابطين في الأقصى ما يقود الى تغيير في المشهد وعندها ستكون الأمور خاضعة الى الميدان إضافة الى جهود الضغط على الاحتلال ليتراجع عن عدوانه على الفلسطينيين وإن كنا نستبعد هذا المسار حاليا لحرص الاحتلال على المحافظة على الاوضاع الحالية كما هي والى الابقاء على حكومته في حال استقرار سياسي، والى عدم رغبة سلطة اوسلوا بأي تصعيد ميداني وجاهزيتها لقمعه.

ثالثاً: تراجع صهيوني

أثبت الفلسطينيون أنهم على قدر التحدي رغم الفارق الهائل بينهم وبين الاحتلال بالامكانات ، لكنهم في الميدان استطاعوا أن يفشلوا الى حد ما الكثير من مخططات الاحتلال واذا استمر هذا الصمود، وهو مرشح لذلك، وتم اسنادة بعمل سياسي ودبلوماسي فلسطيني وعربي ضاغط على الاحتلال سيقود غالبا الى تراجع الاحتلال عن مشاريعه الخبيثة تجاه الأقصى خاصة وأنه بات يدرك أن العبث بمصير المكان

هو لعب بالنار قد يكلفه أثمانا باهظة، ويبدو هذا السيناريو ضعيف التحقق لغياب هذه الحاضنة العربية أو الاسلامية الجاهزة لاسناد الفلسطينيين في هذه المرحلة.

خلاصة

تدرك "اسرائيل" جيدا الواقع الصعب جدا للشعب الفلسطيني، في ظل الانقسام وفي ظل ادارة الظهر للقضية الفلسطينية من قبل العديد من الانظمة العربية، وفي ظل وجود سلطة فلسطينية تسعى جاهدة الى تطويق أي حدث في الضفة الغربية، وعدم السماح بالانزلاق الى مربع الصدام الحقيقي مع الاحتلال، لذلك تستغل "اسرائيل" هذا الحال الى جانب وجود جو دولي صامت عن جرائمها او مساند لها، لتحقق المزيد من احداث تغيير في واقع المسجد الاقصى، وصولا الى تقسيمه ان استطاعت. لكن في مقابل ذلك ورغم ما ذكرنا من واقع صعب يعيشونه اثبت الفلسطينيين، الا انهم دائما مستعدون للتضحية والصمود مهما كانت الامكانات قليلة، بل وتحقيق النجاح في التصدي لمخططات الاحتلال وافشال اجزاء مهمة منها، وتبقى جولات النزال سجالا بين الطرفين.